

افتتاحية الجارديان: الشرق الأوسط يدور حول الهاوية



الخميس 1 أغسطس 2024 05:34 م

تلاشت الآمال الخافتة في إمكانية التوصل إلى وقف لإطلاق النار في غزة، في الوقت الحالي على الأقل، باغتيال إسماعيل هنية في طهران. لم تعلن إسرائيل مسؤوليتها عن مقتل الزعيم السياسي لحماس، لكن المرشد الأعلى الإيراني آية الله علي خامنئي كان سريع في التعهد بالانتقام.

جاء ذلك بعد ساعات من إعلان إسرائيل أنها قتلت فؤاد شكر، القائد العسكري الأعلى لحزب الله، في غارة جوية في جنوب بيروت، محملة إياه مسؤولية الهجوم الذي أسفر عن مقتل 12 طفلاً في مرتفعات الجولان المحتلة الأسبوع الماضي. لم تؤكد الجماعة المسلحة وفاته على الفور؛ فالغموض يترك لها مجالاً للمناورة أيضاً. وإذا أضفنا إلى ذلك الضربات الأخيرة على ميناء الحديد اليمني، بعد يوم واحد من تعهد إسرائيل بالانتقام لهجوم بطائرات مسيرة شنه الحوثيون، فسيتضح لنا النمط بوضوح.

ولكن إذا اعتقدت إسرائيل أنها تعيد إرساء الردع، فسيتضح عن ذلك بالتأكيد المزيد من الوفيات وستأتي الوفيات أولاً في غزة، وإن كان من غير المرجح أن تقتصر على هناك. وكانت قطر، الوسيط، سريعة في الإشارة إلى أن محادثات وقف إطلاق النار من غير المرجح أن تزدهر عندما يعوت المفاوضات. وقد أصدر المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية مؤخرًا مذكرة اعتقال ضد هنية بتهمة ارتكاب جرائم حرب. ومع ذلك، كان يُنظر إليه على أنه أكثر براجماتية نسبياً من زعيمها العسكري يحيى السنوار وغيره من المتشددين في حماس. ولن تضمن صفقة وقف إطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن خفض التصعيد، ولكن لا يمكن أن يحدث ذلك بدونها.

لن تشعر إيران بأنها تستطيع تجاهل هذا الهجوم، الذي وقع بعد وقت قصير من حضور هنية لتنصيب رئيسها الجديد مسعود بزشكيان. ولكن بدلاً من إظهار قوتها في ظل التجمع الكبير لحلفائها، تعرضت طهران للإذلال بسبب فشل استخباراتي صارخ في وقت من الأمن المشدد.

وفي نقاط أزمة أخرى على مدى الأشهر العشرة الماضية - كما حدث في أبريل، عندما شنت إيران أول هجوم عسكري مباشر لها على الإطلاق على إسرائيل بعد اغتيال أحد قادتها في دمشق - تم تجنب حرب إقليمية شاملة. فقد حسب اللاعبون ردود أفعالهم ولا ينبغي لهذا أن يقدم طمأنينة زائفة؛ بل إن كل حادث يزيد من المخاطر. وقد تكون كل خطوة محسوبة، ولكنها محددة بدرجة أعلى من ذي قبل. وإذا نظرنا إلى أبعد من ذلك، فسنجد أن الولايات المتحدة نفذت للتو ضربة في العراق رداً على الهجمات الأخيرة على قواعدها من قبل ميليشيات مرتبطة بإيران.

وفي الوقت نفسه، اضطرت إسرائيل إلى نشر جنود لحراسة مراكز الاحتجاز لأنها لا تستطيع أن تثق في قدرة الشرطة على صد اليمين المتطرف، وذلك بفضل شركاء تنبأها والمتطرفين في الائتلاف. وكان أعضاء الكنيست والوزراء من بين الغوغاء الذين اقتحموا قاعدة احتجاجاً على اعتقال تسعة جنود للاشتباه في تعذيبهم وإساءة معاملتهم جنسياً. لقد لاحظت المحللة داليا شيندلين أن هذا النوع من الانهيار الداخلي كان خيراً ساراً لأعداء إسرائيل.

قبل عام، نظم مركز أبحاث في تل أبيب، بمشاركة زعماء سياسيين وعسكريين سابقين من الولايات المتحدة وإسرائيل ودول أوروبية، لعبة حرب انتهت بصراع إقليمي ضخم. وخلص أحد المنظمين إلى أن "لا توجد آلية جيدة لإرسال الرسائل عبر القوة العسكرية، فقد وصلت الرسائل ملتوية".

ولكن مع انشغال الولايات المتحدة بقضاياها الداخلية، وانشغال أوروبا بأوكرانيا، فإن الجهود الدبلوماسية أصبحت متعثرة أيضاً. إن اندلاع حريق إقليمي ليس أمراً حتمياً. ويدرك المشاركون العواقب الكارثية التي قد يخلفها عليهم، أيّاً كان الفائز. ويمكن ويجب تجنبه. ومع ذلك، فإن كل هجوم وهجوم مضاد يخلق مساراً جديداً نحو ذلك ويضع العقبات على طول طريق الخروج.

[https://www.theguardian.com/commentisfree/article/2024/jul/31/the-guardian-view-on-the-killing-of-a-
hamas-leader-the-middle-east-circles-the-abys](https://www.theguardian.com/commentisfree/article/2024/jul/31/the-guardian-view-on-the-killing-of-a-hamas-leader-the-middle-east-circles-the-abys)